فن الرسم في سوريا

بقلم
عفيف بهنسي

اذا كانت دمشق تخلو من معهد لتدريس الفنون الجميلة، فان سورية كلها اشبه بمعهد كبير يتسابق فيه الفنانون ، المتقدمون منهم والمبتدئون، لاثبات نبوغهم الفني وابداعهم الفذ للوقوف امام الجمهور المتذوق كي يحكم في المعرض السنوي الرسمي الذي يقام في دمشق على هذا التسابق ، مقدراً القفزات البارعة ، مراقباً الشطحات البارقة ترسمها ريش حرة لم تثقفها المدرسة ولم يوجهها معلم .

وهكذا يلتئم في كل عام عكاظ فني يتبارى فيه المجدون كي يحرزوا قصب السبق الفني ويسجلوا بذلك خطوة الى الامام في مجال النشاط الابداعي في سوريا .

والواقع ان هذا المعرض استطاع ان يستقطب آثاراً رائعة لفنانين مغمورين لم يكن بالمستطاع التعرف اليهم ولم يكن بالمستطاع اعلان جدارتهم والعمل على تشجيعهم ومؤازرتهم في خطواتهم الانتاجية . اما قبل هذا المعرض فكانت اكثر معارض الرسم خاصة شخصية تقام لرسام واحد او لعدة رسامين من الاساتذة، مما يجعل نصيب الناشئين ضعيفاً في تقديم آثارهم للجمهور. ويجب ان نعترف هنا ان اكثر الفنانين في سوريا توصلوا الى النتائج الباهرة في رسمهم اليوم بفضل جهودهم الشخصية ونضالهم الخاص دون ان ينالوا اية مساعدة تخفف عنهم اقل الصعوبات التي يلاقيها فنان في مجتمع يسعى لاستكمال اسباب حياته الاولية ويعتبر امور الفن من الاشياء الكمالية التي لم يحن وقتها بعد .

وظهور هؤلاء الفنانين في مثل هذه الظروف يجعلنا نؤمن ان الدوافع القوية التي استطاعت ان تقهر الصعوبات الخارجية ما هي الا امكانيات ثرة تتفجر رغم جميع عوامل الاهمال ، معلنة عن حاجتها للحرية والابداع والحضارة .

والفرد العربي اليوم في كل بلد عربي، يثبت جدارته الابداعية بالامكانية، ويحققها بالقوة . واعتقد اننا بمثل هذه الروح المؤمنة بنفسها لا المتكلة على الغير نستطيع ان نعتز بجيل من الافذاذ ، بجيل من الابطال المبدعين القادرين على خلق حضارة جديدة .

والفنان العربي في سوريا فنان بفطرته ، فأنت ترى جلة اثار الفنانين الناشئين، وترى فيها بوضوح براعة تلقائية وتمكناً اصيلاً .

الا انه يجب ان نعترف ان اكثر الفنانين لا ترفدهم ثقافة فنية قوية تجعل عملهم الفني دقيقاً مدروساً. ويرجع ذلك الى خلو البلاد من مدارس خاصة بتدريس الرسم ، والاكتفاء بالمحاولات الفردية التي يقوم بها الفنانون والتي تتطلب الكثير من التجارب وتعرضه لكثير من الاخطاء التي لا يجد من ينبهه اليها . ومع ان اكثر الفنانين الاساتذة في سورية قد قاموا برحلات دراسية واستطلاعية الى الغرب فزاروا المتاحف العالمية ودرسوا عن الفنانين الشهيرين في العالم ، الا ان ضرورة وجود معهد فني تبقى قوية لمتابعة اصول الرسم ومتابعة تطوراته في العالم .

والحرية بالنسبة للفنان العربي في سورية ، الطريق السهل الذي يسير عليها للتعبير عن حدوسه الخاصة التي تنبع من نفسه ، عن الطبيعة الفائقة الروعة التي تتمتع بها بلاده ، عن الانوار المليئة بالفرح والحياة ، التي تضيء بلاده ، عن الجو الشفاف النقي المشبع بالحب والاخلاص والايمان . فاذا اضفنا الى ذلك ما يتمتع به الفنان نفسه من ارهاف قوي ومن خيال عميق وفكر بعيد ، استطعنا ان نعرف ان الآثار التي ينتجها تستطيع ان تحتل مكاناً عالياً جداً الى جانب الآثار التي نشاهدها تخرج عن الغرب .

ونحن لا نريد ان نكون شديدي الغرور برسامينا بقولنا هذا، ولكننا نقرر هنا ان الرسام في سورية بحاجة الى من يحتضن مواهبه ويتبنى توجيهه ومساعدته؛ فهو كالأرض البكر الطيبة تحتاج الى فلاح يقدر طيبتها فيمنحها كامل جهوده ورعايته واخلاصه .

والحرية التي يتمتع بها الفنان في سوريا تتجه به اتجاهاً رومانتيكياً ، ذلك لان الرومانتكية ، وهي التعبير العفوي الشاعري لانفعالات النفس البشرية ولانطباعاتها واحلامها ، وهي الترجمة الحية للحياة الشاعرة واللاشاعرة التي يعيشها كل من الفنان والمتذوق عندما يربطها الاثر الفني ، ليست الا الحرية نفسها ، وبذلك نفسر الاتجاهات الابداعية في

البطل — تمثال للفرد بخاش

٨٥

الشعر العربي معنى واسلوباً ، وبذلك نفسر ايضاً ابتعاد الفنانين المعاصرين في سوريا عن الاتجاه الكلاسيكي هرباً من القيود المدرسية التي تطفىء شعلة الابداع في نفوسهم .

وقضية الحرية لدى الفنان العربي قضية جذرية ، ونعني هنـــا بالحرية الامكانية الطليقة ، وقد تتأثر هذه الامكانية بقيود قسرية خارجية فتمنع تفتحها وانبثاقها ولكنها لا تستطيع القضاء عليهـــا ، ففي عهود الاستبداد والاستعمار ، كمت الافواه وكبلت الايدي فلم تستطع التعبير ولكنها بقيت تنتظر الفرصة للانفلات من تأثير حياة الضغط والكبت التي كانت تمنع عنها تنفس الحرية .

ويمتاز الفن في سوريا بالعاطفة والحرارة والاشعاع القوي . فقلب الفنان المليء بالحب الصادق والايمان العميق ينبض دوماً بتلك الالوان التي تنفرش على اللوحة كأزهار الربيع الخالدة .وهذه الرحمانية في نفس الفنان السوري هي التي تؤكد اتجاهه الى الفن الرومانتيكي الذي يستطيع ان يغلل آثاره بمسحة رقيقة هي من نسيج قلبه ، قلب الانبياء .

اما الانوار التي يستمدها الفنان من شمس بلاده المعتدلة اللطيفة فهي الانوار التي تشع من بين يديه الواناً صافية تدل على جمال الطبيعة وسحرها ، هذه الطبيعة التي علمته دوماً كيف يكون فناناً وشاعراً ووتراً شادياً .

واذا الح الفنان على حبه وهيامه بالطبيعة فليس ذلك لجمالها وحسب ، بل لانه يحب هذه الارض حباً يفوق في معناه معنى الوطنية . ولذلك فان قضية الامة التي يتبناها الفنان قضية عميقة لا تظهر في موضوعات صريحة ، انما هي تتمثل في تصوير ابطال التاريخ ومآثره وآثاره وتتمثل في تصوير عادات الشعب وتقاليد المجتمع ، وهي تتمثل في رسم مشاهد الطبيعة ورسوم نتاج الارض الخصيبة وهي تتمثل اخيراً في الطريقـــة البسيطة العفوية التي تبدو واضحة في جميع آثار الفنانين ...

واذا اردنا ان نتحدث عن الرسامين في سوريا فقد يقتضينا ذلك ان نصنفهم تصنيفاً دقيقاً نضع فيه كل فنان في مكانه من المدارس الحديثة او المدرسة الكلاسيكية القديمة ، ولكن ذلك ليس سهلاً ، لأن الطريقة لديهم لم تتركز بعد في خصوصية معينة . وهذه الظاهرة ليست غريبة ولا تعني اهانة لانتاجهم ؛ فالرسامون في فرنسا مثلاً حتى الشهيرون منهم يصعب اعطاؤهم صفة دقيقة من الصفات التي تأتي عن المذاهب الفرعية للمدرسة الحديثة كالانطباعية والوحشية والسريالية والتكعيبيـــة والاستقبالية وغيرها .

ومع ذلك فاننا نستطيع ان نلمح للاتجاه الاقوى الذي يسير عليه كل فنان ، مع العلم انه من الممكن ان يُضم كل من الفنانين « شورى وكرشه وحماد وقصاب باشي » وآخرين غيرهم في مدرسة واحدة ، يمكن ان نطلق عليها اسم (مدرسة دمشق) ذلك للطريقة المتقاربة التي تتبع في التعبير التصويري الانطباعي الذي ينهج عليه كل منهم .

فالفنان « نصير شورى » هو أبرع من استعمل الالوان استعمالا غنائياً متقناً بطريقة حرة يعبر فيها بوقت واحد عن

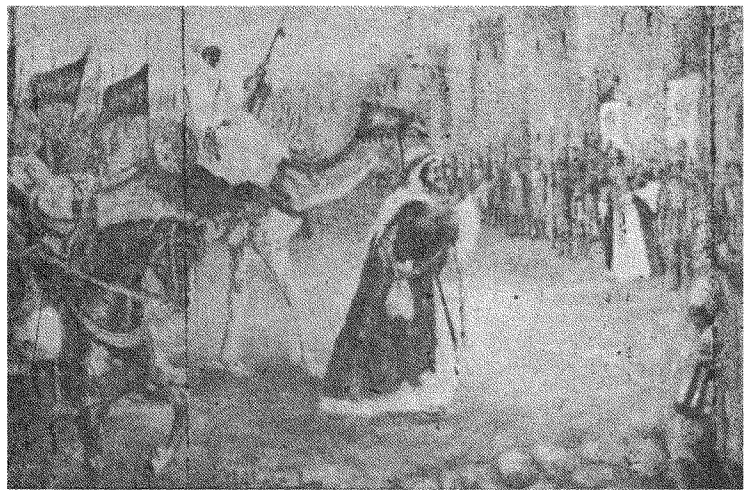

دخول عمر بن الخطاب الى بيت المقدس – لعبد الوهاب ابو السعود

القارىء – لمروان قصاب باشي

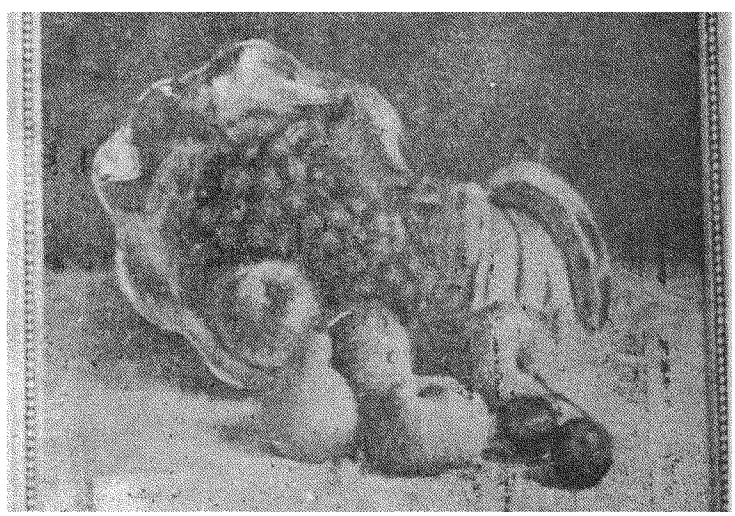

فاكهة – لمحمود جلال

٨٦

احساس قوي في تمييز درجات الالوان وعن مقدرة ملحوظة في استعمال تغيرات الالوان للتعبير عن الشكل . وهو خير من احب الطبيعة السورية وخير من رسم الريف ، فكان استاذاً يعلم مواطنيه كيف يكتشفون جمال بلادهم ويعلم النـــاس جميعـــاً في المعارض العالمية كيف يحترمون طهارة الحياة والطبيعة في بلادنا .

كذلك الفنان محمود حماد الذي رافق « نصير » في حياته الفنية وتقارب معه في الطريقة فقدم لوحات رائعة . الا انه في زيارته الدراسية الاخيرة لايطاليا ، والتي مـا زال مستمراً فيها ، بدأ رسمه يأخذ طريقه واتجاهاً تبسيطياً في استعمال الالوان .

والفنان الذي يرسم في كل وقت وفي كل مكان ضاحكاً دوماً مغرداً ابداً هو الفنان « ميشيل كرشه » ، الرســـام الخصب الذي ملأ المعارض برسومه . ويمتاز الفنان كرشه بعفويته الواضحة في رسومه السريعة وبقدرته عـــلى امتلاك الموضوع مهما كان متفرعاً موزعاً .

اما الفنان « مروان قصاب باشي » فمع انه ما زال ناشئاً إلا اننا نستطيع ان نقرر بانه وصل فعلاً الى مستوى الاساتذة من الرسامين ، ولوحاته المعروضة في المتحف الوطني الآن تدل على ريشته القوية الواثقة .

ومن شيوخ الفنانين في سوريا الفنان « سعيد تحســـين » وهو الفنان الذي تصدرت لوحاته التاريخية الكبيرة اشهر المعارض والقصور ، باحثاً لتحقيق صدق المشاهد التي يرسمها عن أصدق المراجع التاريخية ، متقصياً أدق الاخبار والاوصاف . وعندما تداعب ريشته اللوحة فان انطباعه عن انفعـــالات البطل او الفرس او الخليقة يجب ان تنقل بأمانة وقوة . اما رسومه التي خصصها لنقل الحياة الشعبية فقد حازت عـلى اعجاب النقاد الغربيين وأحرزت الجوائز عنـــد عرضها مع الصور المقدمة من جميع الدول المنتسبة للأمم المتحدة .

والشيخ الثاني وهو « محمود جلال » مفتش الفنون الجميلة في وزارة المعارف السورية فنان رقيق يقترب في تصويره مع الفنان تحسين من الرسم الكلاسيكي ، فهو يحترم التنـــاسق والتناسب في الموضوع كما يحترم تنـــاغم الالوان المدرسي ويرفض باطاح التطورات الاخيرة التي دخلت على الفن . اما المرحوم الفنان عبد الوهاب ابو السعود ، فانه يعتبر الرائد الاول للفن في سورية ، والمعلم الذي تتلمذ على يده جيل الفنانين

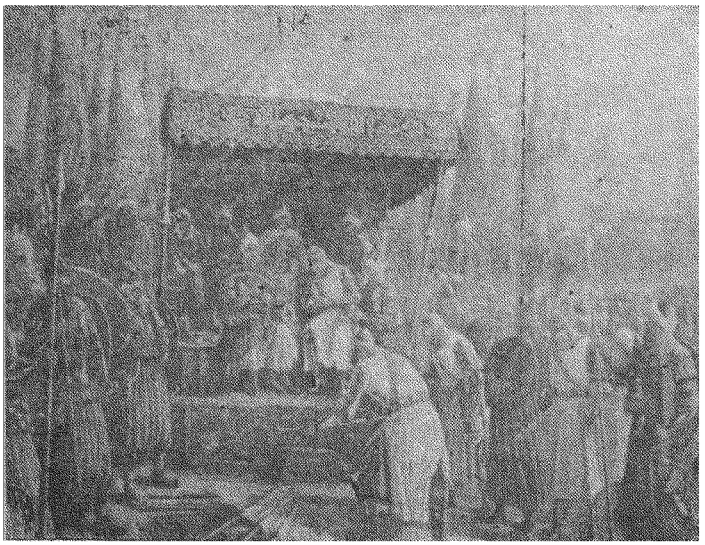

انتصار صلاح الدين – لسعيد تحسين

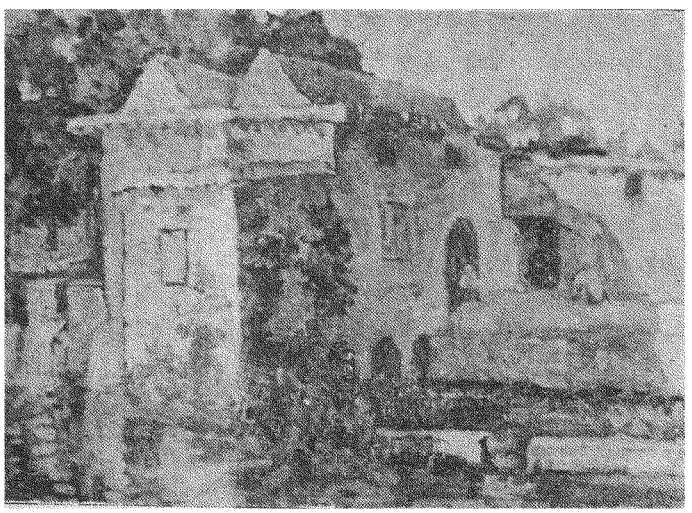

الطاحونة – لناظم الجعفري

في الحقل – لغياث الأخرس

٨٧

الحالي . وقد اهتم المرحوم برسم الارابسك والقيشاني والمشاهد والمواقع والامكنة التاريخية العربية .

ومن مدينة حلب يبرز فنانان قويان هما « فاتح المدرس » و « الفرد بخاش » . اما الفنان المدرس فانه يجنح في تصويره الى التجريد والرمز ، ولكنه عندما يريد ان يصور لوحات واضحة واقعية فانه ينهض فناناً بارعاً له طريقته الخاصة التي تدلل بقوة على شطحات فنية صدرت عن فنان ذي امكانيات خصبة عميقة .

وقد برع الفنان المدرس بصورة خاصة برسم المناظر فعبر بذلك عن صفاء الريف الشمالي بألوان نقية وبضربات عفوية بريشته او بمداعبات بارعة بسكينه الرقيقة على اللوحة الملأى بالالوان المتنافرة .

و « ألفرد بخاش » فنان المرأة كما يسمونه ، هو الفنان الرشيق الذي يحرك موضوعاته حركات رائعة رشيقة كأنها على موعد مع الانغام التي تنطلق من الوانه وكأنها على موعد مع فرحة الاضواء التي تشع عن جميع الالوان في اللوحة .

اما الفنانون « صلاح الناشف » و « ناظم الجعفري » و « رشاد القصيباتي » و « أنور علي » فلكل منهم محاولات خاصة تأخذ طريقها المتصاعد نحو التركيز والكمال . وقد اهتم « الناشف » في السنين الاخيرة بالحفر على الخشب وهو يعد نفسه الآن لاتجاه جديد في الرسم الزيتي بعد عودته الاخيرة من اوروبا ..

ويعنى « الجعفري » برسم اخته في اوضاع مختلفة وتدل ريشته على مقدرة في رصف الالوان وخاصة في رسومه لاحياء دمشق ورياضها وانهارها .

اما « رشاد القصيباتي » فقد اتجه اتجاها موفقاً لرسم الطبيعة الماثلة (الفواكه) وهؤلاء الفنانون الثلاثة يقومون بتدريس فن الرسم في المدارس بدمشق . اما « انور علي » المشرف الفني في دار الآثار فقد اختص برسم مناظر دمشق وآثارها الرائعة .

وهناك جماعة من الفنانين الناشئين الذين يمثلون جيلاً جديداً يمكن ان يحقق في المستقبل القريب نهضة فنية رائعة في سوريا كالفنان « هشام زريق » ، ولوحاته تدل على تمكن قوي في استعمال اللون وفي نقل الموضوع بدقة ثم على تفوق في التقنية التعبيرية . ومثله الفنان « عدنان انجيله » و « هشام المعلم » و « برهان كركتلي » و « فريد كردوس » و « صبحي شعيب » و « غياث الاخرس » و « شريف الاورفلي . »

وهناك بعض الفنانين ممن يحاولون التمسك بطريقة معينة كالفنان « روبير ملكي » في رسمه التكعيبي والفنان « زهير صبان » في الرسم الكلاسيكي . وعلى رأسهم الفنان خالد العسلي الذي امتاز بمهارة بارعة في التصوير الكاريكاتوري الى جانب التصوير الزيتي كما اشتهر برسم الصور الايضاحية للمؤلفات المدرسية ، وبوضع التصاميم والشعارات ، والشعار السوري هو من تصميمه .

تمثال — لجاك وردة

غابة الشعر — لألفرد بخاش

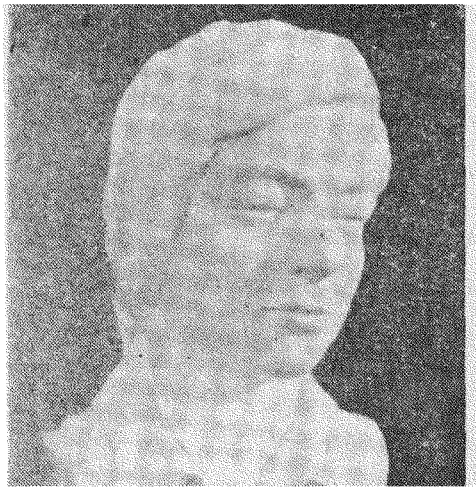

تمثال — لعدنان رفاعي

٨٨

امرأة – لميشيل كرشه

اما الفنانات في سوريا فان « السيدة شطي » و « السيدة موره لي» و « الآنسة سابا » قدفاجأن جمهور المتذوقين بلوحات ناجحة جداً ، فالسيدة شطي برعت في تصوير آثار ومفاخر دمشق بالالوان المائية ، اما السيدة موره لي والآنسة سابا فان رسمها الحديث يقف على صعيد واحد ، مع رسم الفنانين الآخرين .

كذلك يجب ان نذكر من بين الفنانات اللاتي يؤمل لهن مستقبل طيب في الرسم مطيعة شورى واقبال قارصلي ودلال حديدي وانعام عطار .

وقد ظهر من الفنانين في الرسم المائي الفنان المصور نوبار صباغيان والفنان صلاح الناشف والفنان نذير نبعة بالاضافة الى السيدة شطي . ويمتاز الفنان نوبار بجرأته في وضع الالوان المائية القوية عند رسم الطبيعة الساحرة في شمال سوريا .

اما فن النحت فاننا قلما نجـــد من اختص به دون الرسم ، ولذلك فان اكثر النحاتين مرت اسماؤهم مع اسماء الفنانين ومنهم محمود جلال وفتحي محمد وجاك ورده والفرد بخاش وعدنان انجيله ووفاء الدجاني وعدنان الرفـاعي .

فتمثال ابن رشد للفنان « جلال » انتاج دقيق يدل على استاذية واضحة في دقة النحت وبراعة التعبير والتصميم . وقد قام الاستاذ جلال في السنة الماضية بصنع التماثيل الجصية لمتحف التقاليد الشعبية في قصر العظم بدمشق وهي تمثيل لحياة بعض الجماعات وتمثيل لبعض التقاليد الخاصة ضمن غرف وقاعـــات وبألبسة وعلى اثاث من نفس النوع المستعمل او الذي كان يستعمل فعلاً .

والنحات فتحي محمد هو الفنان الذي اظهر تفوقاً طيبا في ايطاليا حيث يتم دراسته الفنية حتى ان بعض آثاره حفظ في المتاحف هناك تقديراً لنبوغه ومهارته ، ويمتـــاز كل من « جاك ورده » و « الفرد بخاش » بالرشاقة والنعومة في تماثيلهما النصفية والكاملة عن المرأة .

اما عدنان انجيلة ووفا الدجاني وعدنان الرفاعي فان

منظر – لفاتح المدرس

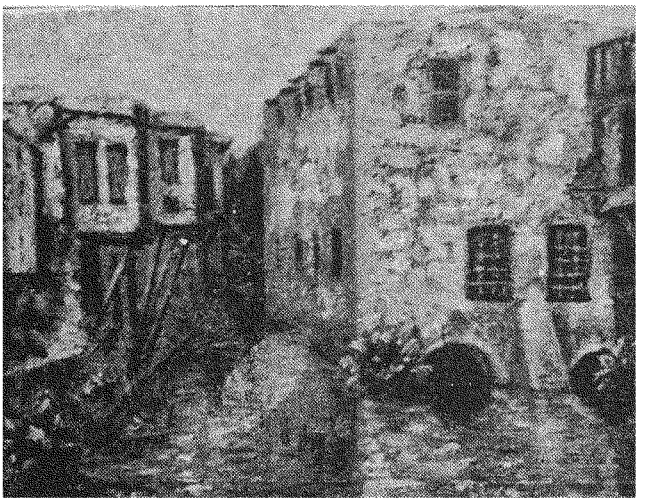

بردى في دمشق – لأنور علي الارناؤوط

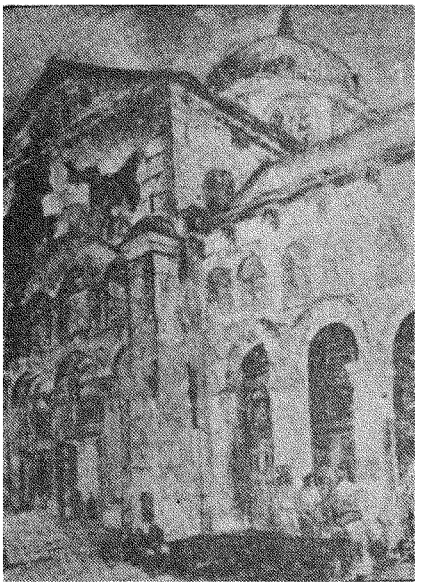

جامع بني امية

للسيدة شطي

محاولاتهم في تمثيلهم النصفية تسير في طريق التكامل والبراعة .

واخيراً نستطيع ان نقول ان الفن لم يظهر في سوريا الا بازدياد الوعي وانتشار الثقافة والاطلاع على افكار الغرب والاتصال باناتجهم ، مما اوجد في هذه البلاد عناصر قادرة على خلق نشاط فني يثير مواهب الناشئة ويحفزهم على الاستفادة من امكانياتهم الدفينة التي كان المستعمر الاجنبي خلال حقبة طويلة من الزمان يحاول خنقها والقضاء عليها .

ونستطيع ان نقول ان النتائج التي حصل عليها الفنانون الاولون بنشاطهم الابداعي ، كانت نتائج مشرفة جداً ، وبفضلهم اصبحنا نرى اليوم الهيئات والجمعيات الفنية ، ونرى المعارض الدورية ونرى المراسم الخاصة ، وكلها غاصة بالمتذوقين والهواة والمشجعين ثم نرى في كل يوم طلائع جديدة من الفنانين معلنة عن مواهب وعبقريات يؤمل لها مستقبل مشرق في عالم الفن .

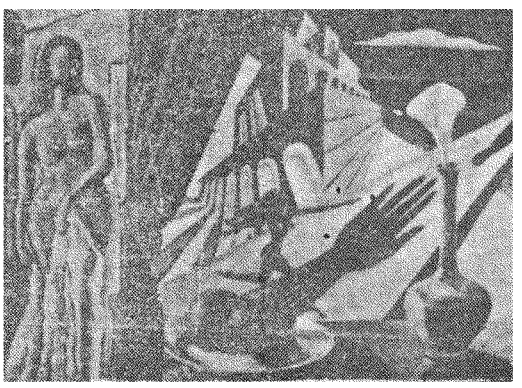

الاماني – لروبير ملكي

وهكذا اصبح في دمشق مجتمع فني خاص يحرك تياراً فنياً قوياً محققاً نهضة فنية تأخذ بالتوسع والتعمق والتجدد يوماً فيوماً.

ونظراً لحداثة نشأة الرسم في بلادنا فاننا لا نستطيع ان نعطيه صفة معينة او نرسم له منحىً تقنياً محدداً ، كذلك لا نستطيع ان ندرسه ونحلله كفن خاص ذي سمة اقليمية قومية الا بعد فترات زمنية اخرى يمكن ان يأخذ لنفسه بعدها اطاراً معيناً محدداً .

ونحن ننادي ان يكون للفن في سوريا طريقة تعبيرية خاصة تأخذ لها صفة معينة في الدلالة على طبيعة الحياة في بلادنا ؛ الجو والطبيعة والانسان بطبائعه وتاريخه ومشاكله . وقد رأى بعض الفنانين ضرورة هذا الاتجاه فحاول « الفرد بخاش » ابراز الرشاقة الشرقية والحلم والبراءة في الشكل واللون والصفاء في النور كما عبر الفنان « ادهم اسماعيل » عن الطريقة الجديدة للرسم السوري بما سماه « بالحظ اللانهائي » كذلك اراد الفنان المدرس بطريقته النزقة ان يدل بوقت واحد عن اصالة العربي ومشكلته . هذه المحاولات ستجد في النهاية المصب الذي ينبع عنه الاتجاه الجديد لاقامة مدرسة عربية خاصة بالرسم تأخذ لنفسها المكان المناسب بين مدارس الرسم العالمية .

دمشق

عفيف بهنسي